

فاعلية المنهج الإحصائي في المعالجة الأسلوبية للنص الأدبي

فاطمة صغير

المركز الجامعي بمغنية- الجزائر
Diden.bb@hotmail.fr

تاريخ قبول البحث: ٢٠١٩/١٢/١٥

تاريخ استلام البحث: ٢٠١٩/٧/٢٨

الملخص:

التحليل الأسلوبية للنص الأدبي، معالجة تروم الموضوعية والدقة، لذلك يسخر لها المحلل مناهج تسعفه في بيان خصائص النصّ الأسلوبية، ومن جملة تلك المناهج المنهج الإحصائي الذي يهدف إلى العلمية عن طريق تطبيق عملية الإحصاء المساعدة على كشف جماليات النصّ ومكوناته بهدف فهم أبعاده الدلالية.

الكلمات المفتاحية: التحليل الأسلوبية؛ النصّ الأدبي؛ الأسلوبية الإحصائية.



تمهيد:

عرفت الأبحاث العلمية في ميدان العلوم اللغوية والاجتماعية بعد عصر النهضة توجهها جديداً، مغايراً لما كان سائداً في ساحة العلوم قبل ذلك العصر، فعهد النهضة حمل إلى الدراسات النظرية الزوج العلمية، نتيجة اقتناع العقول بأهمية بعض التقنيات التي من شأنها تحقق تلك العلمية، كتقنية المقارنة التي تشكل مصدراً خصباً من مصادر المعرفة اللغوية، وسبيلاً للوصول إلى الحقائق الجوهرية.

ولا تنحصر ثمار النهضة العلمية في تقنية المقارنة وحدها، وإنما كذلك في فكرة المنهج وضرورة اعتماده من الباحثين طلباً للتنظيم والدقة.

إن تطبيق المقارنة واعتماد المنهج شمل كل أصناف العلوم بما في ذلك الأدب وبفضلهما ارتقت الأبحاث الأدبية واللغوية، وتوصلت الجهود العلمية إلى معارف جديدة كعلم اللسانيات الذي يعنى بالدراسات العلمية للغة.

والحقيقة أنّ حقولاً علمية كثيرة تنحني اليوم إجلالاً للسانيات اعترافاً بصنيعها، لأنها كانت سبباً في ميلادها وظهور حقائق بشأن اللسان البشري حيث تتبعته بالدراسة التاريخية والوصفية شارحة خصائصه بالتفصيل، منتبهة إلى ما يُعرف بالأسر اللغوية فتناولتها بالمقارنة بينما خصّصت الدراسة التقابلية للغات التي لا تنتهي إلى أصل واحد.

وبعد عقود من الدراسات والأبحاث المتصلة بمختلف اللغات أولى الألسنيون دراسة اللغة وهي مستخدمة في أشكال نسقية عديدة، وتولى الدراسة هاهنا علم وُلد من رحم اللسانيات، مهمته النظر في النسيج اللغوي وما يميزه، إننا نقصد بذلك الأسلوبية، أو علم الأسلوب.

الأسلوبية والنصّ الأدبي:

النصّ مرتكز أساسي في الحياة الاجتماعية، لأنه ينظم مختلف المؤسسات ويضبط قوانين اشتغالها ويقنن التعامل بين أفرادها، ولذلك نجد أنفسنا أمام كم هائل من النصوص كالنص القانوني والسياسي والديني والفلسفي والأدبي. وكلّ نوع يؤدّي دوره في عملية تنظيم جانب معين من أنشطة الحياة الاجتماعية، يقول حسن حنفي: «النصّ ليس مجرد تدوين للحفظ والتسجيل، ولكنّه يُمثّل سلطة توجيه وتقنين وتشريع». (الباحثين، ١٩٩٣)

إنّ هذه الأهمية للنصّ أهلتها لاحتلال الصدارة في الدراسات الحديثة التابعة لفروع معرفية كثيرة كالتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلوم السياسة، وكذلك هو الأمر بالنسبة لحقل النقد والأدب، حيث يرى علماء اللغة أنّ النصّ يمثّل الوحدة الطبيعية للتفاعل والتواصل بين المتكلمين.

ولكونه يشكل الوحدة الطبيعية لممارسة اللغة، حظي بعناية اللسانيات ونظرت إليه على أنه بنية متماسكة ذات نسق داخلي، تربط بين عناصره علاقات منطقية ونحوية ودلالية. (الصبيحي، ٢٠٠٨)

ومن ثمّ راح الألسنيون يكتشفون مقوماته، فأجمعت الرؤى على أنّ النصّ لا يُعتدّ فيه بالكتابة والحجم، وإنّما العبرة بالاكتمال طبقاً لقول سعيد يقطين: «النصّ وحدة دلالية، وهذه الوحدة ليست وحدة شكل بل وحدة معنى». (يقطين، ٢٠٠١)

وظلّت الدراسات النصّية تتعاظم عند الدارسين اللغويين في حقل اللسانيات النصّية وعلم النصّ، وظفر النصّ الأدبي برعاية فائقة إذ حظي بمفاهيم كثيرة، توالى بحسب توالي المناهج اللسانية الكثيرة، فمن منظور البنيويين، يُشكّل النصّ الأدبي بنية لغوية قائمة بذاتها «فالأدب ليس إلا لغة؛ أي نظام من العلامات وليس جوهره في الرسالة التي يحملها، وإنّما في نظامه بالذات». (barth, 1964)

وتصدّح جوليا كريستيفا Julia Kristeva بمفهوم متميّز للنصّ الأدبي مُلمّحة إلى مقوم أساسي فيه، يتمثّل في التناص، حيث تقول: «نظام عبر لغوي، يقوم الكاتب فيه بإعادة توزيع نظام اللغة وذلك بإقامة علاقات بين الكلام التواصلي الذي يهدف إلى الإبلاغ المباشر، وبين الملفوظات القديمة والمعاصرة». (Julia 1969)

والحقيقة ما من منهج قام في كنف اللسانيات إلا واتخذ النصّ موضوع بحث له، ومثلما ظفر بعناية الشكلانيين والبنيويين، حظي كذلك باهتمام الباحثين الأسلوبيين، ذلك لأنهم اعتبروا النصّ اتجاهاً أساسياً ضمن الاتجاهات الثلاثة المعتمدة في تعريفهم لمصطلح أسلوب، مثلما يؤكده سامي محمد عباينة: «بمقدورنا أن ننظر من ثلاثة اتجاهات إلى الأسلوب قد تقدّم صورة شبه وافية عن مختلف القضايا والمشكلات التي يثيرها التفكير في الأسلوب، هذه الاتجاهات هي: اتجاه المؤلف واتجاه القارئ، واتجاه النصّ». (عباينة، ٢٠١٠)

لقد استند علماء الأسلوبية إذن - في محاولتهم لإيجاد مفهوم دقيق وشامل للأسلوب - على النصّ، فراحوا يتأملون بناء كلماته وتركيب عبارته والسّمات التي تتخلّل عملية صياغته وكلّ ما من شأنه أن يُكسبه الخصوصية والفرادة الأدبية، وفي طليعة ذلك مسألة الانحراف عن الشائع أو المألوف.

والحقيقة أنّ جلّ الدراسات الأسلوبية، ركّز فيها أصحابها على عملية الانحراف في تحديدهم لماهية الأسلوب، علماً أنّ الانحراف ليس إلا ظاهرة أسلوبية تدخل في إنشاء النصّ الأدبي على وجه الخصوص، ثمّ إنّ ربط الأسلوب بالانحراف ضمن مجال تحليل النصوص يُعبّر بشكل واضح عن الاهتمام بالنصّ الأدبي بعيداً عن الاعتبارات التاريخية والنفسية، أو أي اعتبار آخر خارج بنية النصّ وبنية اللغة ذاتها. (عباينة، ٢٠١٠)

وانطلاقاً ممّا تقدّم عرضه، نصل إلى أنّ النصّ يمثّل في الواقع مجال العمل الأسلوبية، حيث يكون التحليل دعامة الأساسية في تفحص أدواته وتشكيلاته الفنية، واستقصاء المفاهيم والأفكار الداخلة في تكوينه من خلال التسيج اللغوي الذي تمثّله تلك المفاهيم والأفكار، وبذلك اكتسب التحليل الأسلوبية للنصّ الأدبي أهمية بالغة حيث شمل البناء العام للنصّ فتناول مكوّناته وأجزائه. (الفضاء، ١٩٩٩)

وفي هذا السياق يكشف فرحان بدري الحربي بوضوح الجوانب التي يطالها البحث الأسلوبية من النصّ الأدبي فيقول: «الأسلوبية تؤكّد دراسة خصائص الأسلوب والصّور الشعريّة والتّعبيرات والمجازات والإيقاع وما فيه من جناس وأصوات وعلى النظام ولغة الشّعْر وعلى الغموض وتوظيف الأساطير والحكم والأمثال وغير ذلك ممّا يستوعب من مباحث البلاغة القديمة ويتجاوزها إلى مكتشفات الألسنية». (الحربي، ٢٠٠٣)

الاتجاهات الأسلوبية المعتمدة في دراسة النصّ الأدبي:

بات أكيدا أنّ الأسلوبية سليلة اللسانيات، وهي مصطلح حديث يتناول بالبحث اللغة بعد استخدامها نطقاً أو كتابة، مؤسسها الأول شارل بارلي (Charles Bally) تلميذ دي سوسير (De Saussure)، وهو رائد الأسلوبية التعبيرية (Stylistique de l'expression)، غير أنّ هذا التيار لا يتناول النصّ المكتوب وإنّما يولي عناية للتعبير المنطوق، فيبحث عن معنى العبارة ويتبين سماتها الوجدانية وموقعها في النسق التعبيري، كما تسعى أسلوبيتها إلى بيان الطّرق التي تعطي العبارة صورتها، ومن ثمّ فإنّها أسلوبية وصفية تعنى بالبنى ووظائفها داخل النظام اللغوي الخاصّ باللغة اليومية المباشرة، وليس اللغة الأدبية. (النحوي، ١٩٩٩)

ويؤرّر شارل بالي عزله الأسلوبية عن الأدب بكون الأديب يستعمل اللغة استعمالاً إرادياً واعياً وجمالياً مقصوداً، بخلاف الفرد العادي الذي يستعملها للكلام في الطّروف العامّة، ممّا جرّ عليه وإبلا من الانتقادات عجلت بملء تيارات أسلوبية جديدة تعمل على ربط علم الأسلوب بالأدب.

ويأتي في طليعة هذه التيارات الأسلوبية الفردية (Stylistique génétique) والتي تُعرف كذلك بالأسلوبية التكوينية وأسلوبية الكاتب لصاحبها ليو سبيتزر (Leo-Spitzer) الرامي من خلالها إلى ربط دراسة اللغة بدراسة الأدب، متجاوزا في معالجته للنص الأدبي البحث في أوجه التراكيب ووظيفتها في نظام اللغة إلى النظر في العلل والأسباب الكامنة خلف تكوين النص. (درويش، ١٩٨٤)

لقد ركز سبيتزر في تحليله للنص الأدبي على الخصائص الأسلوبية التي تميز منشئه باعتباره فردا قادرا على التعبير عن قصده وكشف دواخله وكوامنه، وهو الأمر الذي يثي بحتمية العلاقة بين العناصر الأسلوبية والعالم النفسي للكاتب، دون أن يهمل أثر البيئة والمجتمع في العمل الأدبي.

ومن أكثر أبنان الأسلوبية رواجاً في التحليل الأسلوبية للنص الأدبي الأسلوبية البنوية (Stylistique Structurale) التي تُعرف أيضا باسم الأسلوبية الهيكلية والأسلوبية الوظيفية، وقد رفع لواءها كل من رومان جاكبسون (Roman Jakobson) وميشال ريفاتير (Michael Riffaterre) في المستويين: النظري والتطبيقي.

يأخذ هذا المنهج بآراء دي سوسير القائمة على التفرقة بين اللغة والكلام، ويُؤمن بأن أساس الظاهرة الأسلوبية لا يكمن في نمطية اللغة، بل في الوظائف التي تؤديها داخل النص، ولذلك تأخذ البنوية بالقراءة المتكاملة للنص، مثلما يشير إليه عبد السلام المُسدّي في قوله: «النص بنية متكاملة تحكم العلاقات بين عناصرها قوانين خاصة بها وتعتمد صفة كل عنصر من العناصر على بنية الكل، لذلك كان هذا التمييز بين اللغة والكلام ماثلا في أعمال كل البنويين». (المسدي، ١٩٨٣)

وطبقا لهذا التنظير، تكون دراسة الأسلوب بوصفه طاقة كامنة في اللغة، يستخرجها الكاتب بنية توجهها إلى هدف معين، وهذه الدراسة تستهدف الخطاب الفني في لغته التي تخلق أسلوبها الخاص المتميز عن باقي الخطابات في الوظيفة الشعرية من منظور جاكبسون. (بودوخة، ٢٠١٥)

أما أساس الأسلوبية البنوية عند ميشال ريفاتير، فيكمن في تحليل الخطاب الأدبي، معتبرا النص موطن الأسلوب الأدبي الذي يعرفه بقوله: «الأسلوب شكل فردي ذي مقصدية أدبية». (ريفاتير، ١٩٩٣)

ويثير ريفاتير قضية اتصال الأسلوب بالمتلقي، إذ إن القارئ ينتبه إلى عناصر النص البارزة والمتميزة لكونها منبع الأسلوب في النص، مؤكداً أن بنية النص الأدبي ذات مستويين لغويين: الأول يمثل النسيج الطبيعي، والثاني مزدوج ويمثل نسبة حضور الانزياح في النص، حيث يتولد عن ذلك عنصر المفاجأة الذي يصدم القارئ ويتسبب في تشويش الفهم لديه، مثلما يرى محمد عزّام: «ارتباط مفهوم الأسلوب بعنصر المفاجأة التي تصدم متقبل الرسالة وتحدث تشويشاً له، فكلمة كانت السمة الأسلوبية متضمنة للمفاجأة فإنها تحدث خلخلة وهزة في إدراك القارئ ووعيه». (عزّام، ١٩٨٩)

والأكثر من ذلك، يُقدّر ريفاتير قيمة الظاهرة الأسلوبية بحجم الأثر الذي يُخلّفه عنصر المفاجأة في القارئ، طبقا لقول محمد عزّام دائما: «إن قيمة الظاهرة الأسلوبية تتناسب مع حدة المفاجأة التي تُحدثها تناسباً طردياً». (عزّام، ١٩٨٩)

غير أنه لا بد أن نعلم صنف القارئ الذي أعطاه ريفاتير هذه المنزلة في تحديد منبّهات النص، وحتما ليس أي قارئ، وإنما هو القارئ النموذجي (archi lecteur) فوحده القادر على اكتشاف الظواهر وتفكيك النص تم إعادة بنائه من جديد.

وإضافة إلى هذه الاتجاهات التي شاع استخدامها في التحليل الأسلوبية للنصوص الأدبية، نجد منهجا آخر سجل حضورا قويا في حقل الأسلوبية، إننا نقصد بذلك المنهج الإحصائي الذي صار معتمدا في مقاربة الأعمال الأدبية، فما المنهج الإحصائي؟ وما خصائصه؟ وما جدواه في معالجة النص الأدبي؟

جدوى المنهج الإحصائي في المعالجة الأسلوبية للنص الأدبي:

لاشك أن اعتماد المنهج في حقل اللغة والأدب، يدفع الفوضى والعشوائية أثناء عرض المعرفة، كما يُعين على الوصول إلى النتائج بشكل دقيق، ولذلك قامت في سبيله الثورات الثقافية في العصر الحديث، بعد أن ظهرت أهميته في توجيه الأبحاث والدراسات التي لم تعد تخلو منه لأن «التحكم في المنهج ركن في المعرفة ويوصل إلى الحقيقة التي يتطلّبها البحث العلمي المعاصر، وسبب تقدّم الشعوب هو تحكّمهم في المنهج واعتمادهم على الدقة والموضوعية». (بليعيد، ٢٠٠٥)

ومن بين المناهج المحققة للدقة والموضوعية المنهج الإحصائي الذي يقوم على علم الإحصاء المخصّص لدراسة كيفية جمع المعلومات وتحولها إلى بيانات رقمية في جداول، قابلة للتحليل تحليليا رياضيا، يفضي إلى نتائج قابلة للتغيير، ولأنه يمثل الطريقة العلمية في بلوغ النتائج، اعتمده مختلف الحقول المعرفية لكونه أكثر صحة من الوصف اللفظي في تحليل الظاهرة التي تكون قيد الدراسة.

• تعريف المنهج الإحصائي:

تنوعت التعاريف التي خصّ الدارسون بها المنهج الإحصائي، وبتأملها نجدها جميعاً تشير إلى أهمّ أسسه وخصائصه ولعلّ أشهر تلك التعاريف ما جاء على لسان عبد الناصر جندي؛ إذ قال: «فرع من الدراسات الرياضية التي تعتمد على جمع المعلومات والبيانات المدوّنة معينة وتنظيمها وتبويبها وعرضها جدولياً أو بيانياً ثمّ تحليلها واستخلاص النتائج بشأنها والعمل على تفسيرها.» (الجندي، ٢٠٠٥)

ويراه عبد القادر حليبي منهجاً توضيحياً فيقول: «هو مجموعة من الأساسيات المتنوعة المستعملة لجمع المعطيات الإحصائية وتحليلها رياضياً لغرض إظهار الاستدلالات العلمية التي قد تبدو في الغالب غير واضحة.» (حليبي، ١٩٩٤)

بينما ينعته حسين عبد الحميد أحمد رشوان بالطريقة العلمية الكمية قائلاً: «هو تجمّع المادة العلمية تجميعاً كمياً وهو بذلك يعكس البحث العلمي في صورة رياضية بالأرقام والرسم البيانيّة أي في صورة كمية.» (رشوان، ٢٠٠٤)

إنّ هذه المفاهيم وغيرها تُجمع على أنّ المنهج الإحصائي، يستند إلى الرياضيات في تحليلاته الكمية طلباً للدقة والعلمية والموضوعية، ولذلك سارعت مختلف العلوم إلى تبنيه خاصّة بعد أن غدا الحاسوب متاحاً للجميع، وساعد الباحثين على إخراج نتائج أبحاثهم من حالة التخمين إلى حالة الإحصاء الرقبي.

ولم تبق الدراسات الأدبية واللغوية بمنأى عن الطرائق الإحصائية ولغة الأرقام، وإنّما اعتمدت هي الأخرى المنهج الإحصائي في رصد الظواهر اللغوية بشكل دقيق، سواء أكان ذلك في المفردات أم في التراكيب، وخير مثال على هذا التّبني الأسلوبية الإحصائية.

• المعالجة الأسلوبية الإحصائية للنص الأدبي:

نُروم بعبارة المعالجة الأسلوبية الإحصائية للنص الأدبي تحليله ومقارنته أسلوبياً باعتماد المنهج الإحصائي رجاء توضيح التعبير الفردي للكاتب وتفاعله إلى محتوى الرسالة. (vian, 1965)

ومعلوم أنّ التحليل الأسلوبية هو محاولة الوقوف على انتماء النصّ الذي يتمّ تحليله إلى هذه اللغة أو تلك، إلى هذا الأسلوب الوظيفي أو ذلك، من أجل بيان السمات المخصوصة والسمات المتداخلة، (العباشة، ٢٠١١) وهذه العملية ينتقي لها المحلّل وسائل معينة ومنهجاً من المناهج، يقوده إلى الغاية التي يبتغيها، فإذا تسلّح المحلّل بالطرائق الرقمية والرياضيات، ومختلف الأدوات الإحصائية من جداول وأعمدة، يكون حينئذ بصدد المعالجة الأسلوبية الإحصائية.

والذي لا مراء فيه أنّ المحلّل الأسلوبية المعتمد للمنهج الإحصائي يُجانب الذاتية ويحقّق الدقة العلمية والموضوعية، كما يتعد عن الأحكام المسبقة التي كثيراً ما تتصل بالغايات النفسية والإيديولوجية، يقول صلاح فضل بهذا الخصوص: «التباعد الإحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب وتمييز الفروق بينها.» (فضل، ١٩٨٤)

لقد انبته الدارسون إلى جدوى التحليل الإحصائي، حيث يقوم المحلّل بتمييز السمات اللغوية، مظهرها معدلات ونسب تكرارها عندئذ يتسنى له تشخيص الاستخدام اللغوي لصاحب النصّ بكلّ يسر، دون أن يقع ضحية الاعتباطية والانطباعية القائمة على الذوق، وإنّما يُحوّل في معالجته للنصّ الأدبي على معارف العصر وعلومه أخذاً بأسباب الدرس العلمي على حدّ تعبير سعد مصلوح، الذي يحسم الدارسين على تبنيه قائلاً: «إنّ المنظور الإحصائي في معالجة النصّ الأدبي... أداة كاشفة ومعينة ووسيلة منهجية واعدة، وهي قادرة على أن تخطو بنا خطوات فسّاحاً في سبيل عقلنة الذوق وعلمية التناول والتسويغ المنطقي للأحكام والتفسير المنضبط للظواهر الأدبية.» (مصلوح، ١٩٩٣)

إلى جانب ذلك، يسمّح الإحصاء الرياضي في المقاربة الأسلوبية للنصّ الأدبي بحصر معطياته كميّاً، وغالباً ما تتمثّل في الوحدات اللغوية التي تُخضع للعمليات الرياضية، فيتمّ تمثيل النسبة بين عدد ورود الكلمة في النصّ والمجموع الكلي عدديّاً، ممّا يعين على مقارنتها بنصوص أخرى.

والظاهر أنّ تطبيق المنهج الإحصائي في التحليل الأسلوبية، يخضع لعدّة طرائق، ينتقى منها المحلّل ما يناسبه، ومنها:

١. إحصاء كلمات النصّ وتصنيفها حسب نوع الكلمة (أسماء - أفعال - صفات - ضمائر - ظروف - حروف جرّ - حروف ربط - أدوات ربط).
٢. إحصاء نسبة الأفعال إلى الصفات من حيث العدد.
٣. قياس معدلات الأفعال بالنسبة لعدد كلمات الجملة.

والجدير بالذّكر أنّ تطبيق إحدى هذه الطرائق، قد يمس النصّ كلّ، أو جملة أو مقطعا منه، فيقف المحلّل على المكونات ويستخرج العناصر والسمات الأسلوبية باعتماد مرحلتين في غالب الأحوال؛ إذ يقوم في المرحلة الأولى بعملية الوصف اللغوي، قصد جرد المثيرات اللغوية ذات القيمة الأسلوبية ثمّ قياس معدلات تكرار تلك المثيرات أو العناصر اللغوية الأسلوبية قلّة وكثرة، أما في

المرحلة الثانية فيصف المحلل التآثيرات الإخبارية الدلالية والجمالية لتلك المثيرات، ثم يحدّد قيمها الأسلوبية في إبداع المعنى، سواء من خلال الصّيع أو التراكيب.

والمحلل الأسلوبي المعتمد للمنهج الإحصائي، ينظر إلى النصّ الأدبي نظرة فاحصة، توصله إلى الظاهرة الأسلوبية المميزة للنصّ، كأن يلاحظ شيوع الأفعال أو الجمل الخبرية أو الأساليب البيانية، عندئذ يُخضعها للدراسة الإحصائية، من أجل إبراز الدلالات المترتبة عن ذلك الاستخدام، ولكي يتأتّى هذا الأمر لابد أن تتوفر في المحلل القدرة على تحليل الظواهر الأسلوبية وتأويلها. إنّ أهمية الدراسة الإحصائية تكمن في الوصف الموضوعي والقياس الكمي المحتكم إلى إجراءات التحليل الإحصائي الرياضي؛ ولأجل ذلك تبتأها الدارسون في مقارباتهم للنصوص الأدبية مثل محمد الهادي الطرابلسي ومحمد العبد وعلي هنداي وصالح فضل وسعد مصلوح، فهؤلاء جميعاً ارتقوا بالدراسة الإحصائية، بتطبيقها على العديد من الأعمال الإبداعية، ملتزمين خطوات العملية وأدواتها الإجرائية، وتتمثل الخطوات في:

1. تحديد المتغير الأسلوبي: ويراد به حصيلة توظيف السمات اللغوية اختياراً وعن طريق الخلخلة وطرق مختلفة في التوزيع ممّا يجعل المتغيرات الأسلوبية مميزة. (مصلوح، ١٩٩٣)
 2. التّشخيص الأسلوبي: هو عملية يقوم بها المحلل من أجل التّعرف على هوية النصّ الأسلوبية، من خلال الكشف عن المؤشرات الأسلوبية الناتجة عن عملية اختيار عناصر لغوية معيّنة. (مصلوح، ١٩٩٣)
- وإذا جئنا إلى الأدوات الإجرائية نجدها تنحصر في:

1. قياس كثافة المتغير الأسلوبي: كأن يقيس المحلل كثافة نوع من أنواع الجمل عن طريق قسمة عدد الجمل المراد قياسها على مجموع عدد جمل النصّ.
 2. قياس البنية بين متغيرين أسلوبيين: مثل قياس نسبة الأفعال إلى الصفات.
 3. قياس النزعة المركّزة للمتغيرات: والمقصود استعمال المبدع لنوع معيّن من الاستخدامات اللغوية.
 4. قياس تشبّه بيانات المتغيرات: ويفيد هذا القياس في التفريق بين النصوص المتشابهة.
 5. قياس التوزيع الاحتمالي للمتغيرات: ويمثّل قياس تكرارات متغير أسلوبي معيّن في أجزاء النصّ الواحد.
- ومن الدراسات الجادة التي اهتمت بالأسلوبية الإحصائية، نجد كتابين رائدين في هذا المجال للدكتور سعد مصلوح، الأول عنوانه الأسلوب. دراسة لغوية إحصائية، أما الثاني فعنوانه في النصّ الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية.
- وبالرجوع إليهما نلفي صاحبهما يلجّ على ضرورة الاستفادة من الدرس اللساني، في دراسة النصّ الأدبي، طلباً للنظر العلمي المنضبط والذي لن يتحقق إلا باعتماد منهج ذي معايير موضوعية للقياس والوصف والاستنباط، ويبدو أنّ هذه المعايير يستوفها المنهج الإحصائي بدليل قوله " البعد الإحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب والتميز بينها" (مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ١٩٩٢)، وطبقاً لذلك سنحاول الوقوف عند أهم الخطوات الإجرائية التي حددها سعد مصلوح في الدراستين، مع كشف أثر هذه المنهجية في التعامل مع النصّ الأدبي.

أولاً: الخطوات الإجرائية

سنّ الدكتور سعد مصلوح مجموعة من الخطوات الإجرائية لتطبيق المنهج الإحصائي، أثناء مقارنة النصّ الأدبي وتتمثل أساساً في:

1. اختيار الدارس للعينات اختياراً دقيقاً، كأن تكون نصوصاً منشئاً واحد أو لعدد من المنشئين.
2. تحديد الدارس للخصائص التي يراها جديرة بالقياس الكمي؛ من أجل الحصول على مؤشرات عددية تعينه على الوصول إلى نتائج دقيقة وموضوعية.
3. قياس كثافة الخصائص الأسلوبية ولتكن مثلاً كثافة الجمل الاسمية أو الفعلية أو البسيطة أو المركبة أو الإنشائية أو الخبرية في النصّ، فيقوم بحساب عدد مرات تكرار نوع الجمل المراد قياسه في النصّ ثم يقسمها على طول النصّ أي مقدار عدد الكلمات أو الجمل في النصّ كله.
4. اعتماد معادلة بوزيمان في عملية الإحصاء وذلك بحساب نسبة التعبير بالحدث (الفعل) والتعبير بالوصف (الصفة) ثم قسمة عدد الأفعال على عدد الصفات، فيحصل الدارس على ما يسميه سعد مصلوح بنسبة الفعل إلى الصفة (ن ف ص = عدد الأفعال/ عدد الصفات).

والظاهر أنّ جهود سعد مصلوح في شرح الدراسة الإحصائية للنصّ الأدبي، تبدو ناضجة أكثر في كتابه الثاني، ذلك لأنه كشف بدقة جميع المصطلحات التي ترد في المعالجة الأسلوبية مثل المتغيرات الأسلوبية التي لا يخلو منها أي نصّ أدبي، وكذلك التشكيل الأسلوبي وهو عمل تركيبى يقوم به المنشئ، إضافة إلى التشخيص الأسلوبي الذي يمثل العمل التحليلي للباحث.

- وللعلم فإنّ التشخيص الأسلوبي هو مجال المعالجة الإحصائية، يعتمد الباحث من خلاله إلى:
١. تحديد المتغيرات الأسلوبية التي يراها الباحث مسؤولة عن التميّز الأسلوبي في النص الأدبي.
 ٢. القيام بالوصف الإحصائي عن طريق طرق معلومة، تتلخص في قياس كثافة المتغير الأسلوبي. قياس النسبة بين متغيرين أسلوبيين. قياس النزعة المركزية.
 ٣. التحليل الإحصائي.
 ٤. الاستنتاج.

ثانياً: أثر المنهجية الإحصائية في التعامل مع النص الأدبي ونتائجها

ما من شك أنّ المعالجة الإحصائية للنص الأدبي، قد ساعدت الباحثين على دراسته دراسة علمية دقيقة ومضبوظة، نأت به عن الأحكام الذوقية، كما ساعدت على عملية تشخيص أسلوبه وتمييزه عن سائر الأساليب كالأسلوب العلمي مثلاً. وليس هذا فحسب وإنما صار بمقدور الدارسين تمييز أصناف الأساليب، كأسلوب النثر الأدبي عن أسلوب النثر الصحفي، وأيضاً معرفة ما إذا كان هذا الأسلوب من إنشاء المرأة أو الرجل، فضلاً عن إمكانية تحديد المرحلة العمرية التي ألف فيها الأديب عمله الأدبي، وهذا دائماً بواسطة تطبيق معادلة بوزيمان التي أشار إليها البحث سابقاً. وبخصوص إشكالية نسبة النصوص الأدبية إلى أصحابها المجهولين التي لطالما عانى منها الباحثون، فإنّ تبني المنهج الإحصائي في الدراسة الأسلوبية، مكّهم من الاهتداء إلى منشئها الحقيقيين، باعتماد البصمة الأسلوبية التي تقتضي اتخاذ نصوص ثابتة معياراً للقياس، ثم تحديد السمات الأسلوبية للنص المشكوك في نسبته ومقارنته ما تم التوصل إليه بنظائره في النصوص الثابتة لمعرفة التطابق أو التشابه أو الانحراف عن النمط. ولا تقف فاعلية الدراسة الأسلوبية الإحصائية عند هذا الحدّ، وإنما تتجاوزه إلى معرفة طبيعة المعجم اللغوي للمنشئ عن طريق قياس خاصية تنوع المفردات، بعد معرفة التوزيع التكراري لها داخل النص. وصفوة القول أنّ اعتماد المنهج الإحصائي في التحليل الأسلوبيّ ساعد كثيراً على كشف جماليات النصّ وفهم مكوناته وأبعاده الدلالية، غير أنّ هذه الإنجازات لم تمنع بعض الدارسين من تسجيل تحفظاتهم بشأنه، مؤكّدين أنّه ليس غاية في ذاته وإنّما هو عنصر إجرائيّ فقط، يهدف إلى الوصول إلى النصّ الإبداعيّ.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

١. بلعيد ص.، (٢٠٠٥) في المناهج اللغوية وإعداد البحوث، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ص: ٩٠.
٢. بودوخة م.، (٢٠١٥) الأسلوبية مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، (الإصدار ط١). بيت الحكمة، ص: ٢٧.
٣. الجندي ع.، (٢٠٠٥) تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، (الإصدار ديوان المطبوعات الجامعية). الجزائر، ص: ٢١٣.
٤. الجباشة ص.، (٢٠١١) الأسلوبية والتداولية، مدخل لتحليل الخطاب، (الإصدار ط١). عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ص: ٣٣.
٥. الحربي ف.، (٢٠٠٣) الأسلوبية في النقد العربي، دراسة في تحليل الخطاب، (الإصدار ط١). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص: ١٢.
٦. حليبي ع.، (١٩٩٤) مدخل إلى الإحصاء، (ديوان المطبوعات الجامعية، المحرر) الجزائر، ص: ٢٤.
٧. درويش، أ.، (١٩٨٤) الأسلوب والأسلوبية. فصول (١ع)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: ٦٥.
٨. رشوان ح.، (٢٠٠٤) العلم والبحث العلمي، دراسة في مناهج العلوم الطبيعية، الإسكندرية، ص: ١٧٠.
٩. ريفاتير م.، (١٩٩٣) معايير التحليل الأسلوبي، (الإصدار ط١)، منشورات دراسات سيميائية أدبية لسانية، ترجمة حميد لحميداني، الدار البيضاء: دار النجاح الجديدة، ص: ٤٢.
١٠. الصبيحي م.، (٢٠٠٨) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، (الإصدار ط١). منشورات دار الاختلاف، ص: ١٠.
١١. عابنة س.، (٢٠١٠) التفكير الأسلوبي، رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، (الإصدار ط٢). الأردن: عالم الكتب الحديث، ص: ١٣.
١٢. عزام م.، (١٩٨٩) الأسلوبية منهجاً نقدياً، دمشق منشورات وزارة الثقافة، ص: ٣٧.

١٣. فضل ص. (١٩٨٤) علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، (الإصدار ط١). بيروت: دار الأفاق، ص: ٢٦٠
١٤. القضاة م. (١٩٩٩) الأسلوب والأسلوبية والنص الحديث، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد ٢٥ العدد ٢ الصفحات ٢٤٥-٢٥٨.
١٥. مجموعة من الباحثين، (١٩٩٣) قراءة النص، الهرمينوطيقا والتأويل، الدار البيضاء: قرطبة للنشر والطباعة، ص: ١٢
١٦. المسدي ع. (١٩٨٣) النقد والحداثة، (الإصدار ط١). بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ص: ٣٩
١٧. مصلوح س. (١٩٩٣) في النص الأدبي، دراسة أسلوبية إحصائية، جدّة: النادي الأدبي، ص: ٩.
١٨. النحوي ع. (١٩٩٩) الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام، (الإصدار ط١). دار النحوي للنشر والتوزيع، ص: ١٦٢
١٩. يقطين س. (٢٠٠١) انفتاح النص الروائي، النص والسياق (الإصدار ط٢)، الدار البيضاء: المركز الثقلي لعربي، ص: ١٧

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- [1] Barth. R., *essais critique, paris: edition seuil*, (1964), p:237
- [2] Julia. k., *recherche pour une semanalyse, edition seuil*, (1969), p:19
- [3] Vian. t., *la recherche du style et l'art litteraire, bucarest: editura*, (1965), p:218

The Effectiveness of the Statistical Approach in the Stylistic Treatment of the Literary Text

Fatima Sghir

University Center of Maghnia, Algeria
Diden.bb@hotmail.fr

Received Date: 28/7/2019

Accepted Date: 15/12/2019

Abstract. The stylistic analysis of the literary text is a treatment aiming objectivity and precision, this is why the analyst uses some curricula which help him to describe the stylistic characteristics of the text. One such curriculum is the statistical approach that aims at science by applying the statistical process in order to help to detect the aesthetics of the text and its components with a view to understanding its semantic dimensions.

Keywords: *The stylistic analysis; the literary text; Statistical stylistic.*

References:

- [1] 'bābnh. S., Altfkyr Alāslwby, Rwyh M'āsrh Fy Altrath Alnqdy Wāblaghyy Fy Dw' 'Im Alāslwb Alhdyth, (Alāṣḍar T2). Alārdn: 'alm Alktb Alhdyth, (2010), pp. 13
- [2] 'zām. M., Alāslwbyh Mnhjā Nqdyā, Dmshq Mnshwrat Wzarē Althqafh, (1989), pp. 37
- [3] Barth. R., essais critique, paris: edition seuil, (1964), p:237
- [4] Bl'yd. S., Fy Almnahj Alghwyh Wa'ḍad Albhwth, Aljzāy'r: Dar Hwmē Ltba'h Wālnsh'r Wāltwzy', (2005), pp.09
- [5] Bwdwkhh. M., Alāslwby' Mfahym Nzry' Wdrasat Tṭbyqyh, (Alāṣḍar T1). Byt Alhkmh, (2015), pp. 27
- [6] Drwysḥ. Ā., Alāslwb Wāslwbyh. Fṣwl ('1), Alhyyḥ Almsryh Al'āmh Llkṭāb, (1984), pp.65
- [7] Fdl. S., 'Im Alāslwb, Mbadyh Wajra'ath, (Alāṣḍar T1). Byrwt: Dar Alāfaq, (1984), pp. 260
- [8] Alhbashh. S., Alāslwbyh Wātdawlyh, Mdkhl Lthlyl Alkḥṭāb, (Alāṣḍar T1). 'alm Alktb Alhdyth Llnsh'r Wāltwzy', (2011), pp. 33
- [9] Hlymy. '., Mdkhl Ala Alahṣa', (Dywan Almtbw'at Aljam'yh, Almhrr) Aljzāy'r, (1994), pp. 24
- [10] Alhrby. F., Alāslwbyh Fy Alnqd Al'rby, Drash Fy Thlyl Alkḥṭāb, (Alāṣḍar T1). Byrwt: Almwssh Aljam'yh Lldrasat Wālnsh'r Wāltwzy', (2003), pp. 12
- [11] Aljndly. '., Tqnyat Wmnahj Albhth Fy Al'lwmm Alsyasyh Wāljtmā'yh, (Alāṣḍar Dywan Almtbw'at Aljam'yh). Aljzāy'r, (2005), pp.213
- [12] Julia. k., recherche pour une semanalyse, edition seuil, (1969), p:19
- [13] Mjmw'h Mn Albahthyn, Qra't Alns, Alhrmynwtyqa Wāltawyl, Aldar Albyda': Qrtbt Llnsh'r Wāltba'ṭ, (1993), pp. 12

- [14] Almsdy. ʿ., Alnqd Waḥdathh, (Aḷasdar T1). Byrwt: Dar Altlyʿh Ltḡbaʿh Waḷnshr, (1983), pp.39
- [15] Mṣlwh. S., Fy Alnṣ Alādby, Drash Aṣlwbyh Aḡṣayy, Jdh: Alnady Alādby, (1993), pp.9
- [16] Alḡwy. ʿ., Alāslwb Waḷāslwbyh Byn Alʿmanyṯ Waḷādb Almltm Balaṣḷam, (Aḷasdar T1). Dar Alḡwy Lnshr Waḷtwzyʿ, (1999), pp. 162
- [17] Alqḡah. M., Alāslwb Waḷāslwbyh Waḷnṣ Alḡdyḡ, Drasat, Alʿlwm Aḷansanyhh Waḷajtmayy, Aljamʿh Alḡrdnyh, 25(2)(1999),245-258
- [18] Rshwan. H., Alʿlm Waḷbḡth Alʿlmy, Drash Fy Mnahj Alʿlwm Altbyʿy, Aḷaskndryh, (2004), pp. 170
- [19] Ryfayr. M., Mʿayyr Alḡlyl Alāslwby, (Aḷasdar T1), Mnshwrāt Drasat Symayy Aḡbyh Lsanyh, Trjmt Hmyd Lhmydany, Aldar Albyḡaʿ: Dar Alnḡah Aljdydh, (1993), pp. 42
- [20] Aṣbyhy. M., Mdkhl Ala ʿlm Alnṣ Wmjālat Tḡbyḡ, (Aḷasdar T1). Mnshwrāt Dar Alakhḡlaf, (2008), pp.10
- [21] Vian. t., la recherche du style et l'art litteraire, bucarest: editura, (1965), p:218
- [22] Yqtyn. S., Anftah Alnṣ Alrwaḡy, Alnṣ Waḷsyaq (Aḷasdar T2), Aldar Albyḡaʿ: Almrkz Alḡqlfy Lʿrby, (2001), pp.17